# جماليات الأداء الأسلوبي في التعبير القرآني

د. عادل علي الشاوي

جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

**الملخص:**

البحث عبارة عن دراسة لأسلوب القرآن في توظيف الحروف سواء أكانت حروفاً ذات معنى مستقلٍ بذاته يتم باشتراكه بتكوين جملة كحروف الجر والنصب وما إلى ذلك أو حروف تشترك بتركيب كلمة ما كقولنا "فعل" إذ تكونت الكلمة من اجتماع الفاء والعين واللام ويتغير لفظها إثر ما يُرافقها من حركات كالفتحة والضمة وقد انتهج الباحث في ذلك منهجاً تحليلياً لبيان دقة اللفظ القرآني.

الكلمات المفتاحية: (القران الكريم. الاسلوب. جماليات. الاداء التعبيري. الإعجاز القرآني).

# Aesthetics of stylistic performance in Quranic expression

Dr. Adel Ali Al-Shawi

University of Basra / College of Arts / Department of Arabic Language

## Abstract:

The research is a study of the method of the Qur'an uses of letters , whether they are letters with an independent meaning that can be combined in forming a sentence, such as prepositions, accusatives, etc., or letters that participate in the composition of a word, as we say "FE'L," since the word is formed from the combination of the fa (F), the ain (E/A), and the lam (L), and its pronunciation changes as a result of the Movements such fatha or dhamma , etc.The researcher adopted an analytical approach to explain the accuracy of the Qur'anic pronunciation

Keywords: (The Holy Quran. process. Aesthetics. Expressive. performance. Quranic miracle).

## المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد.. قال تعالى في ذكره الكريم : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات (٥٦)] وطلب العلم من أسمى العبادات وخير العلم هو ما نفع الإنسان في دينه قبل دنياه فكان له للآخرة ذخراً وكما قال صلى الله عليه وسلم : ( خيركم من تعلم القرآن وعلّمه ) وتعلم القرآن لا يكون الا من تعلم اللغة التي شَرَّفها الله بأن جعلهُ يحويها كما جعلها تحويه، ومن ما لا شك فيه أن لغةً قدَّرها الله لتكون لغة كتابه الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورُسُلِه (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) قَدَّرَ لها قبل ذلك أن تبلغ التمام والكمال وجعلها غنيةً ودقيقة في اللفظ ودلالته حتى ناظَرَتْ في إعجازها إعجاز سحر قوم موسى – عليه السلام – وطب قوم عيسى – عليه السلام – وخَصَّ نبيه بخالصِها كما خص من قبله بالخالص من أسمى ما ملك أقوامهم لتَحُقَّ عليهم الحُجة فكان القرآن وليدها إذ نضجتْ وبلغت أشدها، وفي هذا البحث اتناول بعضاً من ما تميز به القرآن الكريم من جمال الأداء الأسلوبي في تعبيره وتوظيفه الحروف من دقةِ اختيار ولفظ لما يقتضيه الحال وذلك وجه من وجوه اعجاز القرآن ومن إعجاز القرآن أن بلاغته لا تتفاوت في السورة الواحدة فكأن النص خُلِقَ خَلقاً فلكل كلمةٍ فيه موضع لو تغير لاختل المعنى وهو مُهيئٌ لكافة العصور ولم يتم خصُّه لمن عاصر نزوله وكلما تدارسه دارس وجود فيه ما لم يدرك وعلم منه ما لم يعلم فكأنه يقرأه اول مرة.

في المبحث الاول من البحث اتناول اسلوب توظيف الحروف من دقة اختيار موضعٍ ما دون غيره مع تقارب الالفاظ والمعاني بين الحروف، ولغة دقيقة كاللغة العربية لا تتطابق فيها الالفاظ مُراداً تاماً فالمترادفات قد تشير الى معانٍ متقاربة غير ان لكل معنى خاصيته التي يتفرد بها عن سواه والحروف لا تقل عن الاسماء والافعال اكانت حروفاً مستقلة ام جُزءاً من كلمة، وذلك من جمال اللغة التي شرّفها القرآن ولا تكاد تمتاز لغة بما امتازت به العربية بما فضلها الله على سائر لغات أهل الأرض وشرّف العرب بأن جعلها منهم وجعلهم منها.

وفي المبحث الثاني اتناول الأداء الاسلوبي لتكرار الحروف في القرآن الكريم في سياقٍ واحد واختلاف مُرادِه ودقته بما يبينه في كل تكرار من ما كان ليخفى دون ذلك، فالتكرار هو من ما تتم إعابته لمن لم يفهمه ولم يفهم مراده وفي طيات الذكر الحكيم ما يُعجِبُ إعجازاً في ذلك.

لأختم في المبحث الثالث بالأداء الأسلوبي في تشديد الحرف وتخفيفه في الصيغ الإسمية وذلك من ما يُدهِش على اليقين بإعجاز القرآن إذ لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً الا أحصاها فلم تكفِ حياةٌ واحدة لاحتواء علمه وما كان لمخلّدٍ أن يدرك العلم كله الا لو أذِن الله له والله عليمٌ بالعباد وهو ذو فضلٍ عظيم يرزقُ مَن يشاء بغير حساب والحمدلله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

**المبحث الأول: التباين الأسلوبي في توظيف الحروف**

إنَّ اختيار الحرف له دلالة دقيقة ومقصد تعبيري لا يمكن أن يؤديه حرف آخر يوازيه في الدلالة، أو يمكن أن يحل محله، ولذلك يتجلَّى الحرف مع متعلقه بأجمل صورة وأروع مقصد في نظمه ونسجه، ومن ذلك ما نجده في استعماله لـ (أمّا) و(إمّا) كما جاء في قوله تعالى إذ حَدَّث وأوصى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن كما كان يتيماً فآواه بأن لا يقهر اليتيم بأن يذله أو ينهره وبأن يحسن إليه وتابع وأمره أن لا يرد السائل او يكون جباراً متكبراً او فظاً على الضعفاء من عباده واكمل ليتم قوله بأمره أن يحدث بنعمة ربه الاسلام شُكراً كما اغناه الله به فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(11)﴾[الضحى : ٩-١١] وقوله تعالى على لسان المسيح عيسى إذ يطمئن والدته: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[مريم:٢٦].

ففي الموضع الاول جاءت ((أما)) وهي في موضعها هذا تختص بتفصيل الجمل كقولنا جاءني أخوتك ، فأما زيد فأكرمته، وأما عمرو فأهنته، وأما جعفر فأعرضت عنه.

وفي الموضع الثاني جاءت ((إما)) المركبة من الحرفين ((إن)) و((ما)) وهي في الشرط نحو قولك : إما تخرجن فأخبرني.

ومن ذلك ما نجده في اختيار حرفي الجر(اللام) و(إلى) في سياقين قد يبدوان أنَّهما متشابهان في موضعين مختلفين عند ذكر قصة آدم(ع) ووسوسة الشيطان في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[الأعراف:٢٠]، فهو يقول أن الشيطان وسوس لهما بالكذب من القول أي جذب إبليس إلى آدم حوّاء، وألقى إليهما: ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ليبدي لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذي ستره عليهما. وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[طه:١٢٠]، وقد تقدم أن الله تعالى أوحى إلى آدم وزوجته أن يأكلا من كل الثمار ، ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة . فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها ، وكانت شجرة الخلد وهي التي بما معناه ان من اكل منها دام مكثه، ووسوس له، ووسوس إليه، وهو الذي تلقى إليه الوسوسة، ودلالة وسوس له بمعنى أنَّ فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه يدلُّ على الحدث ومنتهاه أي: ألقاه إليه[١]، وبما أنَّ الوسوسة هي الكلام الخفي، أو أنَّها حديث النفس[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦]، وهو يقول فيها: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تحدّث به نفسه، فلا يخفى علينا سرائره وضمائر قلبه ويقول: ونحن أقرب للإنسان من حبل العاتق؛ والوريد وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، والحبل: هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظ اسميه، ونلحظ دقَّة اختيار حرف الجر (اللام) حين كانت الوسوسة لهما معا، وليست لواحد، وتكرارها في سياق واحد﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾، فناسبت السِّياق الذي تكررت فيه توكيدا، وليكون عبرها بيان عاقبة أمرهما، وتردده في الوسوسة، وعندما كانت الوسوسة لآدم(ع) عبَّر بحرف الجر(إلى) التي أفادت تحقق الأمر من الوسوسة عبر دلالتها في انتهاء الغاية[٣]؛ لكونها موجهة لواحد من غير أن يتردد في الوسوسة بينهما وهذا من بديع النَّظم القرآنيّ في نظمه ودقَّة نسجه، وكذلك من دقَّة اختيار الحرف في النَّظم القرآنيّ ما ورد من استعمال اسلوب النفي بـ(لم)، و(ما) في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١]، ولما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى ، نزه نفسه عن النقائص هو الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد وهو ليس بذليل فيحتاج أن

يكون له ولي بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ، ومقدرها ومدبرها بمشيئته ، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]، فهو سبحانه خالق ومالك السماوات والارض حاشا ان يكون له ولد ،وفي موضع آخر استعمل الحرف(ما) في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾[المؤمنون:٩١]، وهنا ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك و لو قدر تعدد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان ينتظم الوجود . والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ،ومثل تلك الـ(ما) جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[الجن:٣]، وعند تأمل الحرفين نلحظ أنَّ النفي في كل موضع له دلالته، فعند قولنا: ما قام زيد، نريد وقت الإخبار وهو إلى الآن ما فعل، ويكون النفي مع الماضي أدلّ، وعند استعمال (لم) في قولنا: لم يقم، نجعل المخبر نفسه بالعرض متكلما في الزمن الماضي والحاضر، ولهذا نلحظ مقام اختيار الحرف(لم) في التشريف والذكر لله تعالى، والحرف(ما) في مقام التعليم، إذ يفيد النفي عن جميع الأزمنة[٤]، والمتأمل في دلالة (لم) التي تعطي زخماً دلاليّاً وتعبيرياً في عدول الصيغة المضارعة إلى الماضية يمكن أن يتلمس دقَّة التعبير في اختيارها لتأكيد النفي والقطع به في مقام التعظيم لله تعالى، في حين المقام مختلف مع (ما) وتعلقها بالصيغة الماضية التي أفادت النفي بعدم الوقوع مطلقا في ملمح تعليميّ وإنزاله بمنزله المقطوع به مطلقا، ومن ما يشابه ذلك ما ورد من استعمال اسلوب النفي بـ (لا)، و(لن) كما في قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)﴾ [البقرة:٩-٩٥]، وفي قوله تعالى يذكر ان مع علم الذين ظلموا بالحق وعلمهم بكفرهم به فلن يتمنوا الموت ابدا وإن زعموا ما زعموا، و في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)﴾ [الجمعة:٧] حيث يكلم الذين اختاروا ان يكونون يهودا اذ زعموا ان الله اختارهم على سائر الناس وانهم شعب الله المختار فيدعوهم لتمني الموت غير ان الحياة الدنيا احب لهم وايمانهم بالذي يزعمون متخلخل فلا يتمنون الموت حبا في الدنيا ومن خوف تغطيه العزة بالإثم.

فـ(لا) تفيد العموم؛ ونفيها شاملٌ على جميع الأزمنة، و(لن) تفيد القطع أي النفي مع التوكيد وقرب المنفيّ.

ومن غريب القول ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النخل﴾ اذ جاء حرف الجر (في) وهي من المَجاز والاصل كما يرون القول "على جذوع النخل" لكن "في جذوع" أي يثبتهم ويجعلها لهم قبورا او فكأنه يدخلهم فيها ، بينما (على) فهو يوحي بأنه على سطح الموضع أو وجهه.

وقد جاء في قول الجاهليين قول سويد بن أبي كاهل اليشكري:

هُمُ صَلبوا العبديَّ في جذعِ نَخلةٍ ن فلا عَطَسَتْ شيبان الا بأجدعا باجد

**المبحث الثاني: الأداء الأسلوبي لتكرار الحرف في النَّظم القرآنيّ**

قال ابن منظور :

الكَرُّ : الرجوع ، يقال : كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا ... والكَرُّ : الرجوع على الشيء ، ومنه التَّكْرارُ ... ( قال ) الجوهري : كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً [٥].

والتكرار في الاصطلاح : تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد ، والتهويل ، والتعظيم ، وغيرها .

والتكرار من الظواهر التعبيريَّة التي تحمل دلالات ذات أبعاد تختلف من نص إلى نص آخر، إنَّ التكرار من الظواهر التعبيريَّة التي تحمل دلالات ذات أبعاد تختلف من نص إلى نص آخر، والتكرار في القرآن كثيراً ما يكون لإضافةٍ ما كما نرى في قوله تعالى:

﴿ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، ﴿ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ، ﴿ جَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ ففي كل آيةٍ ما يضيف لما قبلها على اختلاف المواضع وكذلك تكرار القصص الذي قد تقع فيه بعض الزيادة مما لم يذكر في المواضع

الأخرى؛ ومن ذلك التكرار قصة موسى و استعباد فرعون لبني اسرائيل وهي القصة الأكثر تكرارا حيث تم ذكرها في سورة البقرة والشعراء والقصص والأعراف و طه وبصورةٍ مختصرةٍ في الروم والنازعات والدخان.

إلَّا إنَّ السمة الغالبة في التكرار يراد منها دلالة التوكيد؛ لأنَّ التكرار أبلغ من التأكيد، والتقرير، فالكلام إذا تكرر تقرر في ذهن السامع وقلبه، ولذلك يأتي التكرار في المواعظ والوعد والوعيد(٦)، وهذا على مستوى الكلمة والجملة في النَّظم القرآنيّ وللحرف مزيته في اداء المعنى، فضلاً عن أنَّ التعبير القرآنيّ ليس فيه تكرار وإنَّما لكل لفظ دلالته التي تتجدد بتجدده وزيادة في المعنى الذي يعطيه داخل السِّياق، فضلاً عمَّا يحقِّقه التكرار على المستويات جميعها: الصوت، واللفظة، والعبارة من دلالات معنويَّة وإيقاعيَّة تؤدي إلى قوَّة المعنى ووضوحه(٧)، ومن الحروف التي تكررت في سياق واحد حرف الجر(في) في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[الشعراء:١٨].

في الآية المباركة تذكير فرعون لموسى(ع) بتربيته وما لبثه بينهم من سنين، وعبَّر بقوله(وليدا) وهو الصبي بصيغة فعيل بمعنى مفعول، وأطلق عليه بهذه الصيغة لقربه من الولادة حين احتضنته أسرة فرعون(٨)، لذا يبدو أنَّ هناك إقرارا من موسى(ع) بنعمة التربية والنشأة في بيته إذ قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء:٢٢]، فيقول على لسان موسى: وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحقّ. وفي الكلام محذوف استغني لوجود ما دل عنه، وهو: وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر " وتركتني" لدلالة قوله عليه وأي: وكأنَّه يقرُّ بالنعمة التي حباه بها في تربيته وتنشئته، فضلاً عن ترك قتله، مع ما صدر عنه من ظلم وقتل لبني إسرائيل، وهذا في مقام إقرار النعمة بحقه وإنكارها لأنها لم تشمل قومه، وليست رادعا له عن ترك ما جاء له من أداء الرسالة(٩)، فحسن اختيار حرف الجر(في) وتكراره في هذا السِّياق الذي مثل التذكير بالنعمة التي نشأ فيها موسى(ع) على أنها مثلت ظرفاً استوعبه في طفولته عبَّر السكن والأسرة، فضلاً عن الرعاية التي حظي بها.

تكرار الحرف(في) هذا الموضع القرآنيّ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ يفصح عن أمرين مهمين وهما دلالة الظرفيَّة[١٠]، في التعبير بـ(فينا)، لبيان أنَّ طفولته كانت كلها في بيت فرعون في حين تكرار الظرف(فينا) مرة ثانية لا يشير إلى أنَّ حياته كانت كلها في بيت فرعون وهو الصحيح لما تعرض له من هجرة وعودة بعد ذلك برسالته وهو ما ناسب وجود حرف الجر (من) في قوله: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، فناسب التكرار الثاني للحرف، ومتعلقه (فينا) الدلالة الضمنيَّة على قصر المدة الزمانية في فترة شبابه وتواجده في قصر فرعون، وهذا من دقَّة التعبير في تكرار الحرف الذي أفاد دلالة الاحتواء والتنشئة في الطفولة والشباب، والفارق بين الدلالة الزمانية في الأمرين.

و أحياناً يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسين، ومن أمثلته قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]، فقد تكررت (إن) في الآية مرتين، وكان من الممكن الاكتفاء بـ: (إن) الأولى، ولكن لما طال الفصل بينها وبين خبرها ﴿لغفور رحيم﴾ كررت (إن) ثانية؛ حتى لا يتنافى طول الفصل مع الغرض المسوقة له (إن)، وهو التوكيد؛ فاقتضت البلاغة تكررها لتلحظ النسبة بين ركني الجملة على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد.

**المبحث الثالث: الأداء الأسلوبي في تشديد الحرف وتخفيفه في الصيغ الاسميَّة**

لم تقتصر ظاهرتا التشديد والتخفيف في بنية اللفظ على الأفعال فقط لما فيها من كثرة الظواهر التي تطرأ على أبنيتها، وما تلحقها من زيادات تشكل البعد الزمنيّ في المجرد والمزيد والتعدي واللزوم والظواهر التي ينتج عنها الإدغام، فيشدَّد الحرف في الصيغ ويأتي مخففاً أحياناً أخرى، لذلك نجد التشديد بتضعيف الحرف وتخفيفه لا يقتصر على الأفعال وإنَّما في الأسماء أيضاً وإن اختلفت الدلالة في بنية الحروف وتشكلاتها إلَّا أنَّها تضيء جوانب دلاليَّة تزخر فيها أبنية الأسماء، والتعبير القرآنيّ حين يبرِّز لفظة ويختارها عن غيرها بالتشديد من عدمه، أو الترادف في الألفاظ ودلالاتها بالتأكيد ذلك الاختيار ينم عن دقَّة في دلالات التعبير القرآنيّ، فهو لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد تماماً، فقد تخرج دلالة التضعيف عن التخفيف للمبالغة في الوصف وتكثيره

وأحياناً توكيده على الدوام، ومن أشكال التضعيف في الأسماء منها ما يتعلَّق بالصيغة ومنها ما يتعلَّق بالإدغام، لذلك سندرس الأسماء التي اتفقت بنية الحروف فيها ولكن جاءت بصيغ مختلفة بين التشديد والتخفيف في بنية اللفظ، وما يتعلَّق بالمناسبة الصوتيَّة عبر الإدغام في النَّظم القرآنيّ ومن هذه الأسماء:

**مُدْخل – مُدَّخل**

مَدْخل الشيء هو المسلك الذي يكون الولوج منه(١١)، ودلالة الدخول هي نقيض الخروج وعادة ما تستعمل دلالة الدخول في المكان والزمان والأعمال(١٢)، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٢]، وفي قوله هذا ادخلوا الجنة يحتمل وجهين فأما أن يكون معناه أبشروا بدخول الجنة أو أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة أي : بما كنتم تعملون –يعني في الدنيا– من الصالحات، ويشتق من الفعل المزيد (أفعل) في (أدخل) المصدر الميمي على صيغة (مُفْعَل)، أدخل– مُدْخَل(١٣)، قال تعالى: ﴿...وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[النساء:٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾[الإسراء:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ...﴾[الحج:٥٩]، وقد وردت صيغة الدخول مشددة في موضع واحد في التعبير القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[التوبة:٥٧]، وقد قيل أن الجماح مشيٌ بين المشيين وقد وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما أقاموا بين أَظْهُرِ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله، لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم، فلم يقدروا على فراق ذلك، فنافقوا القوم ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر وادعاء الإيمان، وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به والعداوة لهم. وقد صيغ اسم المكان(مُدَّخل) من الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والتاء(افتعل) في(ادَّخل) على وزن(مُفتعَل)(١٤)، فصيغة((مُدَّخلاً: أصله: مُدْتَخَلاً، وقد أبدلت التاء بعد الدال بدال أدغمت في الدال الأولى، والمُدَّخل المسلك الذي يدخل فيه الإنسان وغيره ليتوارى به عن العيون))(١٥)، ولم تأتِ صيغة اسم المكان من الثلاثي المجرد(مَدخل) في التعبير القرآنيّ، فالتعبير بالمَدخل إشارة إلى أنهم يقصدونه قصدا انتقاليا محددا، والتعبير بالمُدخَل يحمل قيمة

تعبيرية مضافة تلتقي مع (مُدَّخل) في زيادة المعنى على الاجتهاد في الدخول[١٦]، وليسوا هم مسلوبي الإرادة كقوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[غافر:٧١]، وهذا تهديد من الله للمشركين فيقول جلّ ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذّبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم.

والتعبير باسم المكان (مُدخل) المصاغ من الثلاثي المزيد بالهمزة ورد في سياق ذكر فعله مؤكدا له في تحقق الوقوع في سياق الترغيب والوعد الناجز، ولذلك عُبر عن ذلك المكان على أنه(كريما)، و(صدق)، و(يرضونه)، في حين التعبير بالمصدر المضعف الناتج عن تشديد الإدغام في (مُدَّخلا) والأصل فيه(مُتْدَخل) لم يذكر في سياق فعله، وإنَّما في سياق ذكر أماكن أخرى (ملجأ)، و(مغارات)، هؤلاء ظاهرهم الإسلام هم يريدون أن يأووا إلى مكان يعصمهم من خطر الموت عند القتال ولو وجدوا قوما يدخلون في جملتهم فينجون، أو قوما يدخلونهم في جملتهم يعتصمون بهم لفعلوا[١٧]، نلحظ أنَّ دلالة التشديد عبر الإدغام ناسبت المقام في نظمه في تعدد الأماكن التي قد تكون سببا في نجاتهم، والتشديد ناسب الجانب النفسي في خوفهم وشدَّة طلبهم وهم يجتهدون في تحصيل السبل الكفيلة بدرء خطر الموت عند الشخوص إلى القتال؛ لأنَّ الإسلام عندهم ظاهري وليس حقيقيا فهم غير مستعدين للتضحية، لهذا كانت الزيادة في بنية الصيغة مكتنزة لمعانٍ نفسيَّة تُمثِّل شدَّة القلق النفسيّ في طلب الأماكن التي قد تنجيهم.

إنَّ دلالة التعبير بالمصدر الميمي(مُدْخَل) تعطي إضاءة على الذات ويكون عنصرا فاعلاً في السِّياق بخلاف المصدر غير الميميّ[١٨]، كأن يقال: (دخول)، فإنَّ المُدْخَل يحمل معه ذاتاً تتحرى الدخول وتجتهد في الوصول إليه أو البحث عنه، في حين الدخول يسلط الضوء على الحدث فقط، فضلاً عن دلالة الصيغة في(افتعل) المزيد التي تثري الجانب الدلاليّ في المشاركة ما بين الحدث والقائم به، إذ إنَّ هناك فارقاً دلاليّاً ما بين قولنا دخلوا وادَّخلوا، ففي المشدد دلالة يتدخَّلون[١٩]، لهذا يكون عنصر الذات جلياً في دلالة المصدر الميميّ فضلاً عن صيغة الافتعال، لذا نلحظ التعبير القرآنيّ كان دقيقاً جداً في اختيار المصدر (مُدخَل) بدلالته الإيجابيَّة في الذين آمنوا ترغيباً لهم في

الطلب على أن يكون مُدْخَل صدق، في حين دلالة (مُدَّخل) جاءت متفقة مع حال المتلونين الذين يخاتلون في إيجاد مهرب ويتحرون كل منفذ يمكن أن يسلكوه من أجل الخلاص مما هم فيه هذه قيم دلالية مضافة تكمن في شدَّة الحرص والاجتهاد من أجل الخلاص مما يرونه موتاً متحققاً، لذا كانت دلالة التضعيف عبر الإدغام أشدّ وقعاً وأكثر تحرياً واجتهاداً من أجل النجاة.

دلالة (مدَّخل) جاءت في سياق بيان حال المنافقين مع المؤمنين عند ساعة العسرة إذ تبين شدة خوفهم وهم يخفون كفرهم ويظهرون الإيمان، وبيان ذلك في عبارة موجزة تضمَّنت ذكر ثلاثة أماكن (ملجأ)، أو (مغارات)، أو (مُدَّخلا) في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، والملجأ معناه معروف يقع في كل ما يأوي إليه الخائف عادة ويتحصَّن فيه[٢٠]، كالقلاع، والكهوف وأضرابهما، والمغارات عادة ما تكون في الجبال على شكل تجاويف غائرة[٢١]، والمَدْخَل، هو الطريق الخفي تحت الأرض، كالنقب مثلا، وهذه الأمكنة الثلاثة جاءت معطوفة بالحرف (أو) الذي يسلط الضوء على المغايرة في اختيار البديل المكاني وهو ما يتفق مع حالة الاضطراب النفسي عند المنافق، واختيار مُدَّخل بالتشديد للمبالغة في طلب المهرب، فلو جاء بالمصدر (دُخُولا) لما أدى ما يؤديه المصدر الميمي (مُدَّخل)؛ لما في الدخول الدلالة الضدية للخروج، فهم لا يريدون خروجا وإنَّما الاختفاء السريع وما يعزز ذلك النَّظم القرآنيّ في دلالة ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، والجماح الحركة السريعة والشديدة، كحركة الخيول المسرعة الجامحة التي لا تطاوع فتغلب الفارس بنشاطها وسرعتها في الجري[٢٢]، والمنافق لا يريد من هربه إلَّا الاختفاء، وهناك ملحظ دقيق تُمثِّل في هذه الأماكن وهو اختيار الملجأ على عمومه والانتقال بعد ذلك إلى الجبال في مغاراتها، ومن ثم حركة هابطة إلى المدخلات وهي الأسراب في الأرض، فكأنها تلتقي مع حالهم صعودا وهبوطا بعدم الثبات حتى في اختيار الأماكن وهو ما يلتقي مع الجانب النفسي عند المنافق في التلون وسرعة التبدل من حال إلى حال.

**الخاتمة:**

في الختام أقول الحمدلله الذي لا إله إلا هو والصلاة والسلام على عبده وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إن أساليب توظيف القرآن الكريم للحرف العربي تنطلق من ما وهبه الله للغة العربية من هبة إذ مَيَّزَ فيها كل لفظةٍ عن الأخرى تمييزاً دقيقاً لا تشوبه شائبة وجعلها كحاضنةٍ أعدّت لاستقبال الذِّكر الحكيم فكان ما مر من سنين مذ ولدت اللغة العربية من امها الآرامية سنين نشوء واستعداد نرى تطورها فيها من تطور شعر الجاهليين فلما كان بلوغها كان حين نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلفظ القرآن العزيز.

وفي اللغة العربية كل تغيير يطرأ على حرف يغير من وظيفته وفي القرآن فكل تغيير على حرف يغير في سياق الآية بشكلٍ خاص وسياق السورة بشكل عام فالسورة لا يتبين معناها بغير إحكام معاني آياتها و إحكام معنى الآية لا يعطي معنى السورة كاملة فالسورة هي المعنى الواحد المتكون من معانٍ تتمثل بالآيات، وكذلك كما تكون الآيات كاللَبِنةِ في بناء السورة فالحرف في اللغة العربية يعمل كاللَبِنة التي يتخلخل البناء بأكمله لو تمت إزالتُها وتجد التغيير البسيط فيه ينقل النص بين الحقيقة والمجاز أو المُراد والمُضاد له واختيار الحرف وشدة نطقه في النص القرآني من إعجازه ولا طاقة لأحدٍ لإدراك كاملِ كُنهه وذلك لما للغة التي تمسكه حيث لا تجد مثل هذه اللدانة في سبك النص بغير اللغة العربية ولا تجد مثل دقة الدلالات في قرابتها واختلافها التي تجدها فيها ومع لدانتها في صياغة المعاني فذلك من ما يجعلها لغةً حساسةً جداً تتغير فيها المعاني من تغيير حركة او تسكين متحرك او تحريك ساكن فتجد تعلم القرآن يستند على التعلم الصوتي لحفظ كيفية لفظ الحروف ومواقيت الفصل بينها ومواقيت الفصل بين الكلمات وما إلى ذلك وتجد لتلاوته أحكاماً مفصَّلة ودقيقة وتجد في تلاوته قيوداً وحلاوةً يتفرد بها ،وفي اللغة العربية تجد صوت الحروف يوحي لك بالمعنى كما لو قلنا "يدِعُّهُ دَعًّا" فتكاد تراه يدفعه ،والقرآن من ما جعله معجزاً أنه لم يأتِ بصورة الشعر لكن ملك ما ملك الشعر من صفاتٍ تعطي للشعر ما ليس للنثر إن أهملنا الوزن أو القافية فالشعر في ضيق مساحته اللغوية سِعة تدفع الشاعر لبلوغ حدوده في البيان بما تقتضيه نفسه وما يحدّهُ به البيت الشعري والقرآن جاء بذلك من غير أن يكون مقيَّداً بوزن او قافية بل له حرية النثر وهو ليس نثراً كما هو ليس شعراً فالقرآن تميّز وجاء بأتمّ صورة ليكون حجةً ما لعالمٍ ردها وإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.

**الهوامش:**

(١) ينظر: الكشاف: ٤٣١/٢، ونفسه: ١١٥/٤.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٥٣٧(وسوس)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٧٥/٥.

(٣) ينظر: معاني الحروف، الرماني:١٢٨، ومغني اللبيب : ١٠٤/١.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٧٩/٢.

٥ لسان العرب : ١٣٥/٥

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١١/٣، والجديد في تفسير القرآن المجيد: ١٧٢/٥، ومعاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١١٢/٤.

(٧) ينظر: سحر النص قراءة في بنية الإيقاع القرآنيّ: ٨٩-٩٥.

(٨) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١٠/٧، والطراز الأوَّل: ٣٣٧/٦-٣٤٠(ولد)، ومعاني الأبنية في العربيَّة: ٦٠-٦١.

(٩) ينظر: تفسير البحر المحيط: ١١/٧، والجديد في تفسير القرآن المجيد: ١٧٤/٥.

(١٠) ينظر: مغني اللبيب: ٢٢٣/١.

(١١) ينظر: معجم مقاييس اللُّغة: ٣٥٥/٢(دخل).

(١٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٧٢(دخل)، والقاموس المحيط: ٩١٨(دخل).

(١٣) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ١٥٤، والتطبيق الصرفي: ٧٠.

(١٤) ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣٦٦/٥.

(١٥) ينظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد: ٣٤٩/٣.

(١٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٧٣(دخل)، والتطبيق الصرفي: ٤١.

(١٧) ينظر: معاني القرآن، للنحاس: ٢١٥/٣، تفسير جوامع الجامع: ٧٢/٢.

(١٨) ينظر: معاني الأبنية في العربيَّة: ٣٤.

(١٩) ينظر: الكتاب: ٧٤/٤.

(٢٠) ينظر: تهذيب اللُّغة: ١٩٢/١١(لجأ)، الطراز الأوَّل: ١٨٨/١(لجأ).

(٢١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٦٨(غور).

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣(جمح).

**المصادر:**


- القرآن الكريم

١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه معجم ودراسة، د.خديجة الحديثي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠٣م.

٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشيّ(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣) التطبيق الصرفي، د. عبدة الراجحي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمَّان، ط: الثانية، ٢٠٠٩م.

٤) تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمّد معوض، ود.زكريّا عبد المجيد، ود. أحمد النجولي الجمل، قرضَه: د. عبد الحي الفرماويّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٥) تفسير جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم المقدسة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦) تهذيب اللُّغة، لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٦٧م.

٧) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحويَّة هامَّة، تصنيف: محمود صافي، دار الرشيد، دمشق، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨) الجديد في تفسير القرآن المجيد، الشيخ محمد السبزواري، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط: الأولى، ١٩٨٥م.

٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)

١٠) سحر النص قراءة في بنية الإيقاع القرآنيّ، د. عبد الواحد زيارة، دار الفيحاء، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١١) الطراز الأوَّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوَّل، ابن معصوم المدني(ت١١٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث، مشهد، ط: الأولى، ١٤٣١هـ.

١٢) القاموس المحيط، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ(ت٨١٧هـ)، تقديم: محمّد عبد الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٣) الكتاب ،أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه(ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٤) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ الخوارزميّ(ت٥٣٨)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٥) لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشاذليّ، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

١٦) معاني الأبنية في العربيَّة، د. فاضل السامرائي، جامعة الكويت-كلية الآداب، الكويت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧) معاني الحروف، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٨٤هـ)

١٨) معاني القرآن الكريم، للإمام أبي جعفر النّحاس(ت٣٣٨هـ) تحقيق: الشيخ محمّد علي الصابونيّ، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيَّة السّعوديّة، ط:الأُولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٩) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٠) معجم مقاييس اللُّغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريَّا(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: د. عبداللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانيّ(٥٠٢هـ)، تحقيق ومراجعة: محمّد خليل عيتانيّ، دار المعرفة، بيروت، ط:الخامسة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.